

## المنجز الرحلي الجزائري الحديث في ميزان الخطاب النقدي

عيسى بخيتي\*

جامعة عين تموشنت - بلحاج بوشعيب<sup>1</sup> (الجزائر)

bekhaiti72@yahoo.com

تاريخ النشر: 2022/12/30

تاريخ القبول: 2022/11/21

تاريخ الاستلام: 2022/08/25

## الملخص

شهد الخطاب الرحلي الجزائري في الفترة الحديثة رواجاً معتبراً، مستغلاً انتشار الجرائد والصحف لينثر في استمرار نماذج مختلفة من هذا الخطاب.. فعلى مسيرة حوالي قرن من الزمن أهدت الأقلام الثقافية الجزائرية جمهرة من الرحلات مختلفة الأشكال والأساليب والموضوعات، في شتى الاتجاهات (داخل ربوع الوطن وخارجه).

ومن المؤسف أن خطاب النقد الأدبي الجزائري لم يواكب هذا الرصيد، ولا حتى محاولة الكشف عن ما خلفه الآباء من منجز استقل في مسودات الجرائد والصحف، وغطى مساحة زمنية تجاوزت النصف القرن من الزمن. ومن خلال ذلك بدى خطاب النقد محتشماً باهتاً في الاعتراف بهذه المادة بله تناولها بالدراسة والبحث والتحليل.

كلمات مفتاحية: منجز - رحلة - حديث - خطاب - نقد - مدونة.

## Abstract:

the Algerian travel discourse has recently witnessed a significant popularity, taking advantage of the spread of newspapers and journals to carry on in the continuation of various models of this discourse. On a march of about a century, the Algerian cultural scholars gave a variety of trips of various shapes, styles and topics in various directions (within the country and outside).

\*المؤلف المرسل: عيسى بخيتي.

It is unfortunate that the discourse of Algerian literary criticism did not keep up with this output, nor did it even attempt to reveal the accomplishment that the predecessors have left in the drafts of newspapers and journals, and covered a time span that exceeded the half century. Through this, criticism seemed below canons in recognizing the field, nor did it receive research and analysis.

Key words: Performed travels, Travel, contemporary, discourse, criticism, Corpus.

### مدخل

شهد الخطاب الرحلي الجزائري في الفترة الحديثة رواجاً معتبراً، مستغلاً انتشار الجرائد والصحف لينثر في استمرار نماذج مختلفة من هذا الخطاب.. فعلى مسيرة حوالي قرن من الزمن أهدت الأقلام الثقافية الجزائرية جمهرة من الرحلات مختلفة الأشكال والأساليب والموضوعات، في شتى الاتجاهات (داخل ربوع الوطن وخارجه).

ولعل الاستثناء في الساحة النقدية الأدبية الجزائرية الحديثة، هو الالتفات إلى أجناس أدبية دون أخرى لأسباب غالباً ما تكون واهية، لا تصدر من ناقدٍ أدبي- حصيف، باعتبار أن الخطاب النقدي يجب أن يواكب المنجز كيفما كان.. هذا وإن لم يكن في الامكان على المستوى الفردي لاعتبارات علمية وذاتية، في حين أن البحوث الأكاديمية التي تطفح بها الجامعات الجزائرية من رسائل ماجستير وأطاريح دكتوراه، كان من الممكن جداً، أن تقوم على مشاريع في هذا الصدد ومن خلالها يكون التوجه نحو مختلف الأجناس الأدبية ويكون توازناً في دراسة المنجز الأدبي الجزائري شمولاً. وهذا الذي لم نجده، في حين أن كل التوجهات النقدية ذهبت نحو الرواية مُعلية من شأنها وكذلك الشعر والقصة القصيرة وذلك على حساب أجناس أدبية أخرى على غرار أدب الرحلة.

إن ما تشير إليه الالتفاتات البسيطة التي يقدمها الباحثون المحسوبون على أصابع اليد، حين فتحهم لنوافذ عن الأدب الرحلي الجزائري الحديث في أبحاثهم، وعلى الرغم من أن بعض من هؤلاء الباحثين يعدّون رواداً في الدراسات الأدبية والفكرية في الجزائر بعد الاستقلال، إلا أننا لا نجد في التفاتاتهم اعترافاً كبيراً بهذه المدونة، بل ما يستشعره المطلع على أعمالهم، أن موضوع الرحلة فيما يرتبط بالأدب الجزائري

الحديث كأنه منعدم وإن وجد فهو ضئيل جدا ولا يمثل المادة المعتبرة التي تجبر الباحث على أن يعير لها اهتماما ويصرف لأجلها وقتا.. ولعل تلك الأحكام-في اعتقادنا- هي سبب من أسباب عزوف الباحثين المتعاقبين عن هذا الموضوع، لما وجدوه من حكم مؤسس سلفا، فساروا عليه، غير منتبهين لطبيعة وحقيقة المنجز الفعلي.

ومنه؛ نقر أن أدب الرحلة اعتبارا من الخطاب النقدي الجزائري قد تعرض لظاهرة العقوق واللامبالاة من طرف الباحثين، وهو إنتاج هزيل، كاد ينعدم لولا أن تداركه بعض الباحثين الذين لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، ونخصّ منهم بالذكر: عمر بن قينة الذي أعطى الجهد والوقت لهذا الفن (الرحلة) وسميرة أنساع، وأسماء أخرى ذات الاهتمام الشمولي كأبي القاسم سعد الله، وعبد الله الركبي، وعبد الملك مرتاض، وعبد الله حمادي، ويوسف وغيلسي.. وفي هذا الصدد سوف نناقش آراءهم هؤلاء..

## 1. النقاد الشموليون

### 1.1 . أبو القاسم سعد الله

يُعدّ أبو القاسم سعد الله من الأسماء المرموقة في تاريخنا الثقافي عبر العصور، فهو من القامات التي تركت بصمة واضحة من خلال جهوده العلمية الرصينة. فأعماله تتم عن مسيرة فريدة في الساحة الثقافية المعاصرة. ومما تميز به -سعد الله- تخصيص جوانب من أعماله لأدب الرحلة الجزائري سواء في القديم أو في العصر الحديث. لكنه في اعتقادنا على الرغم من أن -للرجل- إشارات طفيفة ودقيقة وهامة، ولكن الشمولية التي عمّت عمله، لم تعط للموضوع الأدبي حقه في الدرس والتنظير، مما جعله غير حاسم في حكمه على الرحلات كمّا ونوعًا، لما نجده يتحدّث عن جملة من الرحلات في كل أعماله. وفي هذا الصدد سوف نناقشه من خلال أعماله وأفكاره التي تناولت الرحلة في الأدب الجزائري، سواء تعلق ذلك بالدراسة كموضوع أو إشارات عابرة، ما دام أن حصر هذه النماذج ميسور.

تعرض أبو القاسم سعد الله بحكم تخصصه في تاريخ الجزائر الثقافي، واشتغاله على فترة زمنية تزيد على الثمانية قرون، إلى أغلب الأعمال الثقافية والفكرية والأدبية، ومن ذلك الرحلات، التي لم تنقطع عن حبل الزمن، منذ أول نصّ إلى اليوم، ولعل أهم ما يتعرض له سعد الله في دراساته عن الرحلات هو ما جاء في كتبه: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، تاريخ الجزائر الثقافي، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، تجارب في الأدب والرحلة، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش (تحقيق)، وهي كلها أعمال علمية تحمل كثيرا من الحس النقدي، والروح العلمية، هذا فضلا عن كتبه الأخرى التي تحمل في طياتها تجاربه الخاصة حول أسفاره ورحلاته التي أسهم بها كنصوص إبداعية. ولعل ما يهمننا من هذه المادة

العلمية، هو جزأين من كتابه الموسوعي "تاريخ الجزائر الثقافي" ونعني بذلك (الجزأين السابع التاسع)، وفيهما نجد ما يتعلق بموضوع بحثنا، ألا وهي الدراسات التي لها علاقة بالفترة الحديثة من تاريخنا الأدبي.

إن أهم ما يميز الأحكام التي صدرت عن أبي القاسم سعد الله في خصوص الرحلات التي توفرت لديه في هذه الفترة بداية من الاحتلال الفرنسي إلى نهايته، أنه يقول: "لدينا رحلات عديدة في اتجاهات مختلفة، ولكن ليس من بينها رحلة معتبرة على غرار الرحلات القديمة، باستثناء رحلة المشرفي"<sup>1</sup> إن معيار سعد الله النقدي ينطلق من رحلة المشرفي التي تُعدّ اقتداءً بالنمط التقليدي الذي عرفه العرب في كتابة رحلاتهم، وهذا المعيار قد لا نجد له سنداً علمياً في المفاهيم المعاصرة التي نستطيع القول بأن معيارية النص الرحلي قد تغيرت مع التحولات التي عرفتها المناهج النقدية المعاصرة، لتهتدي إلى أنماط وأشكال مختلفة ومخالفة تماماً، مثلما هو الشأن بالنسبة للشعر والقصة وغيرها من الأجناس الأدبية. ومن جهة أخرى كان سعد الله حذراً من توخي السقوط في التعميم حين قال: "لا نزعم أننا هنا قدمنا بإحصاء لهذه الرحلات واستنفدناها، وإنما نذكر ما عثرنا عليه أثناء بحثنا"<sup>2</sup>، وهي الصفة التي تجعله موضوعياً، بدليل أن البحث -بعده- قد كشف عن أضعاف ما توصل إليه -هو-، كما أن الوسائل الحديثة قرّبت ما كان بعيداً، وأزاحت الحجب، وأمطت اللثام، وأنارت ما كان مدلهماً.

وينوه -سعد الله- أيضاً بأنواع وطرق نشر الرحلات بقوله: "وننبّه إلى أن بعض الرحلات العربية لم تنشر في كتب أيضاً ولم تعرف بأنها مخطوطة وإنما نشرت في شكل مقالات في الصحف مثل رحلة الإبراهيمي إلى المشرق، وزيارة محمد الغسيري إلى مصر، وجولات الشيخ ابن باديس في أقاليم البلاد"<sup>3</sup> وهي الصفة التي قد تحيل على الاعتراف بشكل هذه المادة.

ثم يعود سعد الله في الجزء التاسع من الكتاب إلى المعيار السابق فيقول بأن: "الرحلة بالأسلوب القديم لم يكتبها أي جزائري خلال المرحلة الثورية رغم تنقل الكثير من الأفراد من أجل العمل للثورة نفسها، في إفريقيا والبلاد العربية وآسيا والأمريكيتين وأروبا"<sup>4</sup> والأقرب إلى الظن أن سعد الله لم يقصد بالمرحلة الثورية فترة الحرب التحريرية، وإنما المرحلة التي كان فيها التطلع إلى العمل الثوري، لأنه عند قوله "فنحن نشير فقط إلى تقاليد وإلى مدونات لا تدخل في باب الرحلة إلا تجاوزاً"<sup>5</sup> ثم يضع كلمة "ومن ذلك" ويبسط نماذج على رحلة الغسيري وقد كتبت سنة 1953 أي قبل الثورة بسنة، ورحلة الإبراهيمي وكتبت سنة 1952، والعربي التبسي 8 يوليو 1954، وهي إشارة واضحة على أنه لا يقصد مرحلة حرب التحرير.

كما نجده في ذلك غير مقتنع بما يقدمه الجزائريون، لا من حيث أسلوب كتابة الرحلات، ولا من حيث الكم، حيث نجده متحسرا، غير راضٍ إذ كان في الإمكان -حسب قوله- أن يكون للجزائر أكبر عدد من الرحلات لأسباب عديدة، من ذلك سفريات نخبهم وسياسيهم إلى بلدان متعدّدة في سبيل القضية الوطنية وغيرها، يقول: "لقد حجّ جزائريون واعتمروا وحضروا مؤتمرات وندوات ودعوا لقضية بلادهم هنا وهناك، ولكننا لم نجد من اغتتم الفرصة وكتب رحلته. ولذلك فإن حديثنا عن "الرحلات" هنا فيه تمحلّ وتعسف"<sup>6</sup>. وما نلمسه في حديث سعد الله أنه يصر على كتابة الرحلة بالطقوس المعروفة، وفق تقاليد معينة، وهو الشيء الذي لم يقنعه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن النص الرحلي الجزائري في مختلف فترات المرحلة الاستعمارية بما في ذلك مرحلة الثورة التحريرية، قد غصّت بالنصوص الرحلية التي أثبتت وجودا شكليا وموضوعيا، يليق بأن تدرج في جنس الرحلة، حسب ما تنص عليه معايير أدبية الرحلة.

ثم إنه من شدة امتعاضه من قضية التصنيف يشير (سعد الله) إلى رحلة الغسيري، وفي نبرته إصرار على ادعائه السالف الذكر، ويقول بأن "المقصود بها سفرة الشيخ محمد الغسيري إلى المشرق العربي عشية الثورة"<sup>7</sup> وفي الوقت نفسه يجيزها معلقا: "وهي الرحلة التي عنوانها بـ(عدت من الشرق)".<sup>8</sup> وبين هذا وذاك، لا نستطيع تمييز ما يريده سعد الله، وما هي وجهة نظره، إلا من خلال أعماله -هو نفسه- التي لا تختلف عن هذه التجارب التي يعلق عليها، وهو ما يكشف عن نقيض ما ادعاه من نقد ومن أحكام سلبية. فالاحتكام إلى نصوصه في هذا المجال سرعان ما تحيل إلى إقراره الضمني بشرعية النصوص الرحلية بضوابطها الصحفية، فإذا أخذنا مثلا -كتاب "تجارب في الأدب والرحلة"<sup>9</sup> فإنه بداية من سيميائية عنوانه، إشارة واضحة لنقيض ما حكّم به، وإذا ما دخلنا صلب الكتاب، فإننا نجد من عناوين رحلاته ما يثير، منها: "رحلتي إلى المغرب"<sup>10</sup> و"رحلتي إلى الجزيرة العربية"<sup>11</sup> و"زيارة لخنقة سيدي ناجي"<sup>12</sup>، إضافة إلى رحلات أخرى له، منشورة في شذرات من كتبه، أبرزها تلك التي نشرها في كتابه "في الجدل الثقافي"<sup>13</sup> ورحلات أخرى في مصادر متنوعة.

## 1 . 2 . عبد الملك مرتاض

لا يختلف اثنان في زعامة عبد الملك مرتاض لعرش الدراسات الأدبية في الجزائر، إذ يعدّ من أهم الباحثين وأبرزهم في الأدب الجزائري الحديث، من خلال أعماله ومشاركاته وتبحره في شتى قضاياها وإشكالياتها، وتنقيبه على مصادره قديما وحديثا، ولعل أقرب أبحاثه إلى موضوعنا، ما نجده في كتابين من كتبه: "فنون النشر الأدبي في الجزائر"<sup>14</sup> و"الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر"<sup>15</sup>، ومن خلال

هذين العاملين نلمس له أحكاما عن أدب الرحلة الجزائري الحديث، ذلك أنه يثير هذا الموضوع ما دام أنه واحد من قضايا النثر، وجدل في التأثير والتأثر، وبما أن ذلك كائن في هذين الاتجاهين، سوف لا نعدم من رأي الباحث فيه.

ينطلق عبد الملك مرتاض من فكرة أساسها أن الرحلات تنضوي تحت جنس المذكرات، من خلال كتابه "فنون النثر الأدبي في الجزائر" الذي خص له مبحثا كاملا يقول في مستهله: "عرفت في هذه الفترة لونا من أدب المذكرات، وقد تعلقت هذه المذكرات خاصة بموضوع الرحلات"<sup>16</sup> على أن الفرق بين وشتان ما بين فن المذكرات وفن الرحلة لمعايير إجناسية محضة، فلا شك أن بين الرحلات والمذكرات نقاط التقاء كثيرة، إلا أنهما يستقلان من حيث إن لكلٍ منهما معايير أدبية خاص، تبنى على مجموعة من الخصائص، وأن تداخلهما يقع في بعض التقاطعات، ما دام أنهما يتسريان من الحديث عن الذات. ثم إن "عبد الملك مرتاض" لا يتحدث عن المذكرات في شكلها، وإنما كل ما كان يعنيه من مذكرات هو ما كان من أعمال الرحلة، وفي ذلك يقول: "فقد اتفق أن سافر كتاب جزائريون إما داخل الجزائر أو خارجها، فصوّروا شعورهم إزاء ما شاهدوا، وسجلوا عواطفهم تجاه ما صادفهم في رحلاتهم"<sup>17</sup> ثم يأتي بعد ذلك الحكم على هذا النوع الأدبي بقوله: "وفي هذا اللون من الأدب، وإن لم يشع في الجزائر على نحو يجعل منه فنا رفيعا، ذا نتائج أدبية ذات شأن. فإنه مع ذلك لا يخلو من مسحة أدبية تجعل إهماله جملة، ضربا من العقوق"<sup>18</sup> من المهم جدا أن نعثر على هذا البيان الصريح الذي لا يبرر العزوف عن هذا اللون من أدبنا الوطني وإن كان -على حد اعتباره- ضئيلا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نتساءل، هل كان حكم عبد الملك مرتاض من حيث حجم المدونة بناء على اطلاعه عليها؟

إن ما يقرّ به عبد الملك مرتاض من أحكام تتعلق بموضوع الرحلة، فإننا ندرك أنه لم يفصل في حيثيات المدونة الرحلية، فحينما يقول: "وقد اهتم بهذا الفن كتاب يختلفون في الثقافة والتوجيه والسن، ولعل أهمهم جميعا أربعة: ابن باديس، محمد الغسيري، محمد بوزوزو، حمزة بوكوشة"<sup>19</sup> وأنه جعل هؤلاء الأربعة أهم كتاب الرحلة في الأدب الجزائري الحديث مُطلقًا، وهو ما يجعلنا نعيد النظر عندما نميز نخبة أخرى تفوق كل هؤلاء الأربعة شأنًا في هذا الفن، حيث نجد محمد الصالح رمضان في نصه "سوانح وارتسامات عابر سبيل"، كما نجد محمد الزاهي الملي في نصه "أربعون يوما من باريس إلى قسنطينة"، مثلما نجد رحلات متعددة لإسماعيل مامي، ولا حاجة لنا في هذا المقام أن نثبت الكثير من الأمثلة، لأن نتائج البحث في الأخير هي من تقف حَكَمًا.

كما أننا نجد في موضع آخر حُكْمًا قاسيا، حينما يصنّف ابن باديس في صدارة من تزعم الكتابة في هذا الباب، سواء من الإصلاحيين أو غير الإصلاحيين، فيقول: "ويعتبر أول من عالج أدب الرحلة

في صورة مذكرات نشرها في مجلة الشهاب وأهم ما كتب كان يتعلق بتجواله عبر بعض الأرجاء في الجزائر، وقد كتب يوماً مذكرات نشرها بعنوان: "في بعض جهات الوطن"<sup>20</sup>، إن معارضة هذا القول حجتة أن هناك من تناول الكتابة في هذا الفن قبل ابن باديس إذا اعتبرنا أن أول ما نشر ابن باديس من هذا القبيل كان سنة 1929م، وقد سبقه في ذلك الكثير من الكتاب الرحالين -إصلاحيين وغير إصلاحيين، داخل الوطن وخارجه، مشرقاً ومغرباً، في بلدان إسلامية وغير إسلامية-، وإذا أعطينا أمثلة فسوف لن تكون حصراً، ومنها: سنة 1925 نجد: "رسائل من الوطن" لمحمد العابد الجلاي، و"ما سمعت وشاهدت" لمحمد الهادي السنوسي، وفي سنة 1926 نجد: "ملاحظات مسافر - السفر إلى باريس -" لرحالة يرمز لنفسه بحرف (ع)، و"باريس -حول الاحتفال بالجامع-" لإسماعيل مامي، وغيرها من الرحلات التي تسبق باكورة رحلات ابن باديس في الزمن وتفوق أسلوبه أدبياً. وبذلك نخلص إلى أن عبد الملك مرتاض قد أشار في عمله هذا إلى جوانب أحاط بها لأجل موضوع عام يتعلق بالنتج في حقله الواسع، حينها كانت الرحلة تحسب ضمن المقال، وهو ما يجعلنا نقول بأن هذا الفن (الرحلة) لا زال مغموراً..

### 1. 3. عبد الله الركيبي

ومن بين الباحثين الذين تناولوا النشر بشكل عام، عبد الله الركيبي في كتابه "تطور النشر الجزائري الحديث -1830/1974-"<sup>21</sup> يتناول فيه موضوعات النشر ومنها يجعل فصلاً لأدب الرحلة، يشير في حديثه أن الرحلة متعدّدة، ولكننا لا نعلم بالضبط إلى أي حدّ يقدر هذا التعميم، فهو يقول: "أما الرحلات الجزائرية في العصر الحديث فهناك العديد منها ولكننا سنتوقف عند البعض لنلاحظ موضوع كل رحلة وأسلوبها وثقافة الرحالة واهتمامه ومدى ما قدمه لنا عن عصره أو بيئته"<sup>22</sup> ثم يستعرض حديثه في تفصيل رحلتين من النصف الثاني من القرن 19، ومن القرن العشرين أربع رحلات لابن باديس ورضا حوحو والإبراهيمي والغسيري..

وأبرز ما نلاحظه سواء في هذا المقام أو عند غيره من الباحثين أنهم يتطرقون للرحلات التي كتبها الإصلاحيون دون غيرهم من الكتاب، مثلما نجده واضحاً في هذه العينة من حديثه: "إن النوع الثاني لم يقصد فيه الجمال الفني أو وصف المشاهدات بل تسجيل الواقع. وقد كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل إلى جانب الدعوة لأفكارها وتصور مدى تعلق الشعب بالحركة وعلمائها، وهي من هذه الناحية تمثل نوعاً من الدعاية، لذلك اختلف أسلوبها باختلاف موضوعها ومضمونها فرأينا فيها ذلك السرد التسجيلي الذي يعتمد على المباشرة والتقرير لا على التصوير والإيحاء"<sup>23</sup> وهو حكم عام مبني على هذه الرحلات ليس كمثال فقط وإنما كأنه حصر لكل الأعمال الرحلية الإصلاحية في هذا

القلب، حتى إذا فتشنا عن بعضها من نفس التيار نجد أن -مثلا- رحلتي كل من العابد الجلاي إلى باريس، ورحلة الزاهي الملي من باريس نحو قسنطينة تزخر بالأسلوب الراقي، والتشويق، وغيرهما من الرحلات كثير، أما إذا خرجنا عن تيار الإصلاحيين فسند أكثر من رحلة تجعلنا نعيد النظر في هذا الحكم، ولو أن ما ذهب إليه الركيبي فيه الكثير من الموضوعية من جوانب خاصة.

#### 1. 4. عبد الله حمادي

ومن جملة الباحثين الراسخين في الدراسات الأدبية الجزائرية، نجد عبد الله حمادي، بيد أن حديثه عن أدب الرحلة من خلال إشارات عبّر عنها في دراسته لرحلة محمد الزاهي الملي<sup>24</sup> فقد شملت الدراسة بشيء من التفصيل عن الرحلة، حوت جملة من الأحكام العامة فيها شيء من الإخلال بحقيقة الرحلة الجزائرية الحديثة.. إما تصريحاً أو تلميحاً.

استهل عبد الله حمادي حديثه بقرش حول أدب الرحلة في المغرب العربي، معرّجاً عليها في الأدب الجزائري قديمه وحديثه، تحت ظل عنوان فرعي "الجزائر وأدب الرحلات"، وهو يتحدث عن تراث المغرب العربي الرحلي، أقحم جملاً عن إسهامات الجزائر في هذا المجال يقول: "لا شك أن الجزائر في هذا الهوس الإبداعي الارتجالي تشكل إحدى المحطات البارزة في آداب الرحلات، كما تشكل إحدى المناطق التي توفرت لأبنائها وقطانها الأسباب الموضوعية من أجل المساهمة في هذا النوع من الانجاز الأدبي الرفيع الموسوم بالمجازفة"<sup>25</sup> وهو يتحدث باقتضاب شديد جدا عن الرحلة الجزائرية ومدى استمراريتها وتواصلها مع الأجيال، بل هو يتحدث عن الرحلة الجزائرية القديمة ويربطها مباشرة بحبل محفوظ بالغموض إلى محمد الزاهي، فلا تشعر بأن الرحلة بين جيل ابن عمار -مثلا- وجيل الزاهي لم تتوفر قط، وهو الداعي إلى إعادة النظر، لأنه يقول بأن الزاهي يعمد إلى التجديد، وكأن الحبل الإبداعي في هذا الشأن قد أصابه الهراء من الإهمال وعدم العناية به مدة طويلة، وهذا هو قول -حمادي-: "الذي سجّلت فيه أسماء جزائرية حضوراً مشهوداً كابن عمار والتيجاني والفقون والورتلاني كلهم، و غيرهم سجل أجمل الصفحات وأنصعها، والتي تشكل الإطار الأمثل والخلفية المناسبة لكي تدفع بواحد كالأديب الشهيد "محمد الزاهي"، أن يعمد إلى تجديد الصلة بين ماضيه الأدبي العتيق وحاضره الذي كان في حاجة ماسة لمعرفة ما يتصل به مباشرة بحكم الارتباط المصيري الذي جمع بين بلد كفرنسا بقطر آخر كالجزائر"<sup>26</sup> ولعنا نقول بأن هذا الرافد الذي يعد سندا للرحالين الجزائريين عموماً، قد درج الزاهي ينهل من معارف عصره، ومن تقاليدهم الصحفية التي كانت الرحلة من أهم موضوعاته، فقد كتب قبله الكثير من

الأدباء والكتّاب، عن تجاربهم في السفر وانطباعاته حول المدن والأمكنة، فلا جرم أن الزاهي كان مقدّماً لأبناء جيله بالدرجة الأولى قبل أن يورد من منهل القدماء.

ثم في قول آخر يتلخص منه حكم، قد يقصي معالم كثيرة لمسافة طويلة من الزمن قد أُلّف فيها الكثير من المعارف ومن الرحلات، حين يقول: "إنه يتكئ على سند قويم دبجته أقلام الرحالين الجزائريين عبر عصور فجاء محمد الزاهي لكي يشد من أزر هذه الحلقات المتتالية والتي أوشكت متغيرات الزمن الاستعماري للجزائر أن تأتي على بقاياها، وجاء دور الزاهي كذلك، حسب رأيي، ليرد على تلك التطلعات الاستعمارية الاستكشافية التي أولت عناية فائقة بأرض الجزائر وآثارها وممارستها وتقاليدها وأعرافها"<sup>27</sup> وهو في هذا النص الموحى على العموم، يخص به الرحلة القديمة التي ربط بها (الزاهي) الوصل-حسب رأيه- وبهذا الحكم يكون عبد الله حمادي -في اعتقادنا- قاسياً على قامات مبدعة أسهمت في تراكم النصوص الرحلية الجزائرية الحديثة سبقت الزاهي الميلي في تأليفه..

### 1. 5. يوسف وغيلسي

وفي السياق نفسه نجد يوسف وغيلسي، من خلال تقديمه لكتاب الخامسة علاوي في إطار بحثها حول أدب الرحلة، يلح بشيء من البيان، حول قصور المادة الرحلية في عموم الفعل الإبداعي العربي بقوله: "يبدو أن المنجز الإبداعي العربي في أدب الرحلة لم يحقق من التراكم النصوي ما يسمح باتخاذ مادة للفعل النقدي، لذلك قلّ حضور دراسات جادة من هذا النوع في النقد العربي بله الجزائري"<sup>28</sup> فهل يمكننا أن نسلّم بهذه الفرضية أو الادعاء؟

إن حكم يوسف وغيلسي يدفعنا إلى الإقرار بعكس ما أشار إليه، في ظل التراكم الهائل من النصوص الرحلية في جميع الأقطار العربية، والتي تُشكّل مكتبة زاخرة من جميع الأنواع الأطباق الأدبية الموضوعية والشكلية. إن ما تزخر به المكتبة العربية من مادة الرحلة لا يحصى، وفي هذا الإطار نفسه، نتساءل، هل يعقل أن يدرس النقد العربي "رحلة بن بطوطة" -مثلاً- عشرات المرات، ولا تظفر رحلة الورتلاني ولو مرة واحدة في ظل العدد الهائل من المتخرجين والباحثين في الدراسات العليا (وخصوصاً الجزائريين منهم)؟. ثم يقول "بله الجزائري"<sup>29</sup> نعم قد يكون الإبداع الجزائري دون غيره من كبريات الدول العربية التي سبقتنا في الفعل الثقافي والتعليمي -لا مرأى-، ولكن نجد القول هذا غير مبني على حقائق علمية، لأننا إذا استثنينا المنجز العربي، فإننا نقول: سوف نغرق في المنجز الجزائري بله العربي. وفي السياق نفسه نجده محققاً من ناحية الدراسات والمهتمين عندما يقول: "فإذا ما استثنينا الجهد الواضح الذي بذله الدكتور عمر بن قينة في كتابيه (اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية) و(الشكل والصورة

في الرحلة الجزائرية الحديثة) الصادرتين سنة 1995، والتفتنا إلى غيره، فإننا لا نكاد نرى إلا الخلاء!<sup>30</sup>، بطبيعة الحال، إن المؤسف له في الجزائر، هو هذا الذي هو صائر<sup>31</sup>.

## 2 . النقاد المتخصصين .

### 2 . 1. 1. عمر بن قينة وسميرة أنساعد

#### 2 . 1. 1. 1. سميرة أنساعد

وإذا كانت مناقشتنا للباحثين في المجال الأدبي عموماً، فإننا هنا، سوف نتطرق لما هو أهل في الدراسات الرحلة، ونقصد بهؤلاء، الباحثين المختصين في أدب الرحلة الجزائري: عمر بن قينة وسميرة أنساعد، ولعل هذه الأخيرة اشتغلت على الأدب الجزائري القديم والحديث على مدار رحلتي بحث تمثلت في طوري الماجستير والدكتوراه مع بعض الأعمال الأخرى، فجاء كتابها "الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري -دراسة في النشأة والتطور والبنية-"<sup>32</sup>، ثمرة وخلاصة جهودها، التي اقتصرنا على ذات الاتجاه المشرقي-سواء كانت حجازية وغير حجازية-، من خلال ذلك نكتشف أن الباحثة أبانت عن بعض الرحالين-ونحن نتحدث عن ما يعيننا وهي الرحلة الحديثة-.

ومن حيث ما يتعلق بالمدونة التي تضم رحالين من العصر الحديث، نجد الباحثة لم تجتهد أكثر مما وجدته جاهزا في أعمال عمر بن قينة، فقد استعانت به، دون عناء، ذلك ما نستشفه من تصريحها إذ تقول: "ويهمنا في موضوعنا هذا، رحلات كل من الطيب المهاجي، والبشير الإبراهيمي، ومحمد الغسيري، وعثمان سعدي، ومحمد دبوز، وأحمد توفيق المدني، وأبي القاسم سعد الله، ومحمد ناصر، وأحمد منور"<sup>33</sup>، وتقصد من كلمة "ويهمنا في موضوعنا هذا" أي من ضمن المدونة التي اعتمدها عمر بن قينة، وهو ما يبين صراحة أن الباحثة قد اعتمدت بقوة على ما وجدت سبيله ميسراً من خلال بحوث بن قينة، بالرغم من أن بن قينة يعدّ بحثه-في اعتقادنا- مقتضبا (من حيث المادة) مقارنة مع ما تحتزنه الجزائر من نصوص ثرية.

مثلاً نجدها قبل هذا، تلمّح بما نجده عند بن قينة في تناوله لمراحل البحث الزمنية، فهي تقول: "أما رحلات الجزائريين إلى المشرق، خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، فقد تنوعت في طابعها، وفي اتجاهاتها"<sup>34</sup> وتضع في آخر المقولة إحالة تشير فيها إلى أعمال عمر بن قينة، ولعل انزياح أنساعد على تبني تحديد مرحلة القرن العشرين زمنياً في مقابل المرحلة الحديثة، هو ما ذهب إليه بن قينة في معالجة العصر الحديث انطلاقاً من هذا القرن دون أن نجد له مبرراً إلا قوله: "وهكذا فإنني لم أكد أشرع في البحث حتى بدأت أدرك ثراء المادة وتنوعها، والتصاقها بمعاناة الكاتب والإنسان

الجزائري عموماً، في القرن العشرين، فحصرت مجال البحث فيه<sup>35</sup>، فيتبين من قوله أن بداية تحديد المرحلة من بداية مجال تراء المادة (وهذا فيه نظر). ولم تضاف على ما تزودت به من أعمال بن قينة إلا رحلات أحمد منور ورحلة الطيب المهاجي. مع أنها تتبنى (أو نذرت نفسها) لتتبع مادة الرحلات الجزائرية قديماً وحديثاً، من خلال قولها: "ومنذ ذلك الوقت وأنا أتتبع مصادر الرحلة الجزائرية القديمة منها والحديثة، حماساً مني لإنصاف كتابنا، وأعلام أدبنا، الذين لا تكاد تحيل المراجع الرحلية إليهم إلا نادراً، ولا أدعي من وراء هذا الحكم حيازتي السابق في هذا الاهتمام"<sup>36</sup>.

## 2. 1. 2. عمر بن قينة

يعد عمر بن قينة كما قال فيه يوسف وغيلسي "إذا استثنينا عمر بن قينة فلا نجد إلا الخلاء" (قول سابق الذكر). ولا يقتصر مجهود عمر بن قينة على هذين الكتابين (الذين يمثلان موضوع بحثه في (الدكتوراه)، وإنما أثرى الموضوع إضافة إلى هذين الكتابين بكتاب آخر موسوم بـ"رحلات ورحالون في النثر الجزائري الحديث"<sup>37</sup>، وكتاب "في الأدب الجزائري الحديث - تأريخاً، وأنواعاً وقضايا، وأعلاماً"<sup>38</sup>، وكتاب "أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب"<sup>39</sup>، وكتاب "الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية في النثر الجزائري الحديث"<sup>40</sup>، وكتاب "صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام وقضايا ومواقف)"<sup>41</sup>، إضافة إلى ذلك تقديمه لكتاب رحلة محمد الصالح رمضان "سوائح وارتسمات عابر سبيل"<sup>42</sup>، وهي كلها أعمال بن قينة الذي يعد -في حدود اطلاعنا- أهم باحث جزائري يتطرق لموضوع الرحلة في النثر الجزائري الحديث ويتفرغ له ويبدل فيه الجهد المحمود.

ثم إن الشيء المهم في أعمال عمر بن قينة التي أسس لكثير من دعائم البحث في الرحلة الجزائرية الحديثة، هو ذلك الملحق الهام الذي وضعه في آخر كل من كتابيه: (اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية) و(الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة)، وهي عبارة عن فهرسة لكل الرحلات الجزائرية في القرن العشرين من الكتب والدوريات<sup>43</sup> حسب ما توصل إليه من مواضيع ونصوص الرحلات في المظان التي سعى وراءها. ولعله من الجحود أن يتكرر أحد من الباحثين لهذا المجهود، ثم إن هذا الشيء المؤسس هو العتبة الحقيقية أو القناة التي لا بد منها لمن أراد أن ينطلق في جمع وتحري مادة البحث الرحلي الجزائري الحديث..

وإذا كان عمر بن قينة قد وضع لبنة هامة من لبنات البحث حول الرحلة في الأدب الجزائري الحديث، فإن هذا البحث -المنوه به- نجده لا يسلم من بعض الثغرات وفجوات غائرة، ولا نغتر به إلى الحد الذي نظن أنه مادة نهائية، كما لا يمكن لباحث واحد أن يحقق إنجازاً متكاملًا في بلد مساحته الأولى إفريقياً، وبه بعض الخصوصيات التي تحول في كثير من الأحيان بعقباتها عن الوصول إلى المادة

البحثية، وفي هذا الصدد يعبر هو عن معاناته بقوله: "فجمع المادة إذن تطلب جهدا كبيرا، كما تطلب إعدادها وتصنيفها ثم دراستها جهدا آخر في ظروف صعبة تجعل العمل في محيط عام غير صحي: نضالا وتضحية كبيرة، كان عليّ أن أقدمها سعيدا راضيا من أجل إبراز هذا اللون الأدبي المهمش"<sup>44</sup>.

وإذا كان هذا الجهد لا يقبل الخوض في عرضه المحترم، لأنه عمل مؤسس وجهد كبير، ومخاض عسير، أبلى فيه الباحث البلاء الحسن، فإنه عمل بشري قد انتابه النقص الطبيعي، الذي سنناقشه، مع اعترافنا بأن بن قينة يعد صاحب الفضل الأول في هذا المجال -وطنيا-، والممهد لكل الطرق في سبيل البحث الرحلي الجزائري الحديث. ونحن هنا يهمننا أن نتقصى فيما يتضمّن ويمسّ موضوعنا من حيث المادة (المدونة)، والمتعلق ببعض الثغرات الموضوعية نستخلصها في الآتي:

- إن عمر بن قينة، نجده في كل ما كشف عنه الحجاب من رحلات، يدور حول الإصلاح وكتابها في المرحلة الاستعمارية، ولا نعتقد أننا نحيف عن الصواب إذا اعتبرنا دراسة عمر بن قينة كلها يصطلح عليها، الرحلة في الأدب الإصلاحي الجزائري، بدلا من تعميمها على الأدب الجزائري بشكل عام.

- اعتماده على مجرد جرائد الشهاب والبصائر، وجريدة المقاومة التي تعدّ جريدة جامعة للأمة حيث كانت تصدر في مرحلة الثورة (سنة 1957) لاستلال مادته. مع العلم أن الجزائر في العهد الاستعماري عرفت ما يقارب 100 صحيفة وجريدة لتيارات وأحزاب مختلفة، وكل عرض مواضيعه حسب توجهه وانتمائه، فماذا لو اطلع على أعمال الرحالين في جريدة النجاح (التي عمرت طويلا، وكانت مفتوحة لجميع الجزائريين في الغالب)، أو على جريدة البلاغ الجزائري -لسان حال الطرقيين-؟ إننا نجزم بأنه قد يغير موقفه حتما..

- وإذا كان بن قينة صبّ كل جهده على جرائد الإصلاح، فإننا لا نجده قد ظفر بكل النصوص الرحلية في جريدتي الشهاب والبصائر المعتمدتين في بحثه، أو التي لم يذكرها أصلا كجرائد (السنة المحمدية، الصراط السوي، الشريعة)...

- نجد له أحكاما تخمينية بخصوص بعض المواضيع التي تضمنتها الرحلة الجزائرية، كالرحلة الحجازية مثلا، والتي يقول فيها: "غير أننا بدخول القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين في مرحلة تطوّر الأدب الجزائري الحديث نلاحظ تراجعاً لرحلة حجّ مستقلة كنصّ مدوّن، فإن استمرت وفود الحجاج السنوية نحو البقاع المقدسة، ومن بينها أعلام أدب وفكر، فإننا لم نعثر على رحلات حجّ مستقلة: تسجّل الأشواق إلى البقاع المقدسة، كما تصور المعالم والمشاعر والانطباعات أثناء أداء هذه الفريضة الدينية، لعوامل مختلفة، بل سرعان ما صارت الرحلة إلى الحجّ جزءاً من رحلة عامة، يأتي فيها الحجّ أو العمرة فقط جزءاً"<sup>45</sup> أي لم يكن فيها الحج أو العمرة لدافع ومقصد مباشر، ويعد هذا الحكم غير صائب ومتعجل،

بالرغم من أنه يطرح مبرر لذلك بقوله: "ربما لتراجع الحوافز والمثيرات التي تدفع هذا الكاتب أو ذلك لكتابة انطباعاته والتعبير عن مشاعره"<sup>46</sup> وهذا لا أساس له. وفي اعتقادنا أن بن قينة قال ذلك عندما لم يتوصل بمجهوده الشخصي للنصوص.

ويتعزّز ادعائنا، بمجموعة من النصوص الحجازية وهي: "رحلة حمو العشاءية سنة 1892م"<sup>47</sup>- والشيخ الطيب المهاجي"<sup>48</sup> والطاهر بوشوشي- "ارتسامات وذكريات عن الحج والأماكن الإسلامية المقدسة بالحجاز"<sup>49</sup>، وعدة بن تونس "على الطائر الميمون"<sup>50</sup>، والزرغاني "رحلة الحج"<sup>51</sup>، ومحمد العشاءية "رحلة حج"<sup>52</sup>.. هذا فيما يخص الرحلات الحجازية الموجودة في الجرائد إبان الحقبة الاستعمارية، أما الرحلات التقليدية المحرّرة في كتب مستقلة، فأبرزها رحلة "التحفة البهية في الرحلة الشرقية"<sup>53</sup> للشيخ يدر الحاج أحمد بن حمو القاضي بالمحكمة الإباضية بمعسكر، رحلة باعيز بن عمر وقد أشرنا إليها (وهي سنة 1965)، رحلة "معبر الفتوة"<sup>54</sup> لعبد الباقي الحسيني الجزائري، هذا دون المخطوط، ودون ما سيكشف عنه المستقبل.

ثم يستدرك مع مرور الأيام في رحلة واحدة من الرحلات الحجازية في فصل ثالث من فصول كتابة "رحالة ورحالون في النثر الجزائري الحديث"<sup>55</sup> من خلال حديثه عن بن عمر باعيز في تجربته الروحية.. "رحلتي إلى البقاع المقدسة".

### 3 . خلاصة لمجمل ما سبق.

وإذا ما اعتبرنا أن عدم الوصول إلى جميع الرحلات شيء يشبه المستحيل، مع ظروف البحث والحصول على المادة، والصعوبات المادية والمعنوية، إذ يتعذر على الباحث أن يحقق كل مادته، فإن ما يؤخذ على المنجز من الدراسات حول أدب الرحلة الجزائري الحديث، هو انحيازها للطائفة الإصلاحية دون غيرها من التيارات الأخرى، من صوفية وكتّاب أحرار ومن الوطنيين الآخرين، وهو الأمر الذي نجده عند الباحثين كلهم دون استثناء -على قلتهم- وكأن الشرعية في ذلك وكّلت للإصلاحيين في الجزائر، نجد الركيبي-مثلا- الذي يتجه مباشرة للحديث عن الرحلة الإصلاحية دون غيرها، موحيا للقارئ أن هذا التيار هو الممثل الأوضح للجزائريين في كل مجالات الحياة سواء الفكرية والأدبية أو غيرها، دون الالتفات إلى التيارات الأخرى سواء تجرّدت من الصراع بالإصلاحيين أو التي تصادمت معها كالتيار الطريقي، حين نجده يقول: "فإن النوع الثاني لم يقصد فيه الجمال الفني أو وصف المشاهدات بل تسجيل الواقع. وقد كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل إلى جانب الدعوة لأفكارها وتصوّر مدى تعلق الشعب

بالحركة وعلمائها، وهي من هذه الناحية تمثل نوعا من الدعاية، لذلك اختلف أسلوبها باختلاف موضوعها ومضمونها فرأينا فيها ذلك السرد التسجيلي الذي يعتمد على المباشرة والتقيرير لا على التصوير والإيحاء<sup>56</sup>.

#### 4 آراء عابرة ومغالطات.

ومن الأعمال التي حملت على عاتقها فهرسة للأعمال الأدبية شعرا ونثرا، وحملت في عنوانها كبيرا، كتاب "فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث"<sup>57</sup>، وهو العنوان المخاتل الذي لا نجد ما تناوله من مادة<sup>58</sup>، إلا نزرا يسيرا نابعا من الاستعجال وعدم التحري في الضبط العلمي الدقيق، سواء من ناحية ربط النص بصاحبه أحيانا، وخطئه بين الرحالين الجزائريين وغير الجزائريين -منهم التونسيين والمغاربة-. فقد ذكر في عمله -هذا- جملة من الكتب المخطوط منها والمطبوع، والمفقود والمتوفر، المنظوم والمنثور...، فيكتفي من كل رحلة بذكر صاحب الرحلة وعنوانها مع الإحالة التي يشير فيها إلى المصدر.

ومن جملة الأخطاء التي نجدها في هذا العمل نذكر -مثلا-، "الرحلة الحبيبية الوهرانية"<sup>59</sup> لصاحبها أحمد بن العياشي سكيريج، مع العلم أن صاحب الرحلة مغربي وليست له علاقة بالجزائر إلا تلك الزيارات التي كانت تتم بينه وبين رجال التصوف والطرقية في الجزائر، وما أقام في الجزائر حتى نحسب له صفة الانتساب، ثم يذكر التجاني صاحب الرحلة<sup>60</sup> المعروف، وهو تونسي، ويذكر التوجيبي وينسبه إلى تلمسان<sup>61</sup> وقد ورث هذا الخطأ نقلا عن بعض الدارسين، ودائما في المجال نفسه يدرج "رحلة مسامرة الزائر برحلة الجزائر"<sup>62</sup> للحجوي المغربي، ولا نجد أي مبرر لإدراجها في معلمة جزائرية.

ويأتي على ذكر "برحو الولهاصي"<sup>63</sup> ويقول بأن له رحلة منظومة، والحقيقة غير ذلك<sup>64</sup> كما يذكر رحلة لمحمد بن أبي بكر التلمساني<sup>65</sup> وينسب ذلك لأبي القاسم سعد الله في إحالة على كتاب هذا الأخير، وعند اطلاعنا على الكتاب والصفحة وجدنا ما يلي: "أما هذه المرة فقد التقينا وتناولنا أطراف الحديث في عدة مناسبات في قاعة المحاضرات وفي بهو الفندق وآخرها في الطائرة التي أقلتنا من الرياض إلى المدينة المنورة. وقد أهدى إلي عدا من مجلة (العرب) حقق فيه رسالة لأحد علماء الجزائر، وسألني بعض المعلومات الإضافية عنه. وقد قام أحد المعجبين به بجمع آثاره وكتبه فإذا هي كتيب كامل وزع على أعضاء الندوة"<sup>66</sup> وخلال هذه الفقرة أحال سعد الله في الهامش ما يلي: "وهي وصف مكة والقدس

منسوبة لمحمد بن أبي بكر التلمساني<sup>67</sup> ولا يستفاد من قول سعد الله أن هذا الذي ذكره يدل على أن هذه الأعمال تدخل في باب الرحلة أو غيرها.

وعند ذكره رحلة "معبر الفتوة" ينسبها لعبد الباقي بن محمد السعيد بن محي الدين الحسيني الجزائري<sup>68</sup>، وهو خطأ جسيم يندم للدقة والتحري في المعلومة، فقد توصلنا إلى حيازة نسخة من هذا النص (الرحلة) فما وجدنا صاحبها يحمل هذا الاسم وإنما الاسم المذكور محصور في "عبد الباقي الحسيني الجزائري" ولا علاقة تربط بين هاتين الشخصيتين، لأن الثاني لا يحمل من تفاصيل الأول، ولأن ثمة أمارات قاطعة تصرف الباحث إلى التمييز بينهما بكل يسر، أبرزها، أن الأول حفيد الأمير عبد القادر ولد بدمشق وتوفي بها ولم يُعلم عنه أنه انتقل إلى الجزائر وقام بسفيرة من خلالها. الأمر الآخر، وهو أن الأول توفي سنة 1916م<sup>69</sup>، أما الشخصية الثانية، كان يعتبر حياً حتى سنة 1973 حين طبعت رحلته بوهران، حيث نجد هذه العبارة من كلامه: "تم بحمد الله وعونه بعد ما أشرف على تصحيحه المطبعي الأخير "ابن الريف" وذلك في وهران بتاريخ الخميس 15 فبراير 1973"<sup>70</sup> فهذا التاريخ الذي يبعد عن وفاة الشخصية الأولى بمسافة 75 سنة، والذي لا تزال الشخصية الثانية على قيد الحياة لدليل قاطع على التمييز بينها وبين الشخصية الأولى، وإذا استنتقنا المتن فسنجد القرائن كثيرة جداً وموثقة، نورد منها بعض المقاطع التي لا تحتاج إلى تعليق، مثال على ذلك:

يقول في موضع: "كانت ساعة رهيبة وذلك في عام 1957م وهذا الموضع من أرض امسيرة شرق أحفير - قرية من أرض المغرب - أخلاه جند الاحتلال من عام 1955م وبقي الزرع يسقط وينبت وهكذا"<sup>71</sup>.

ويقول أيضاً: "اجتمع ممثلو الجزائر في دمشق عام 1960م ومن جملتهم الشيخ عباس والشيخ عبد الرحمان العقون وجبت عليّ زيارتهم كل صباح في الفندق الذي يسكن غالبهم فيه فأجدهم مجتمعين في بيت الشيخ العباس فأسرد عليهم ما توجد به القريحة من هذه القصيدة وتتخلل قراءتي ضحك تدفعه المحبة والغبطة لا الاستجمام والراحة وحوار أكثره فكاهة متكلفة أيضاً"<sup>72</sup>.

ويقول أيضاً في تأبينية الشيخ البشير الإبراهيمي: "لقد كان الشيخ رحمه الله آية تجل عن التعبير وتفوق الحصر وتقوى عن التخمين..."<sup>73</sup>

إن هذا العرض من المقاطع كلها من مصدر واحد وهو "رحلة معبر الفتوة" التي استقينا منه هذه المقاطع كقرائن لمحاكاة تلك الدعوة التي كان أكثرها خلط وعدم الدقة في تقديم المعلومة، ناهيك على إدراج مذكرات الشريف الزهار<sup>74</sup> لسنا ندري على أي أساس، وهي لا تتوفّر على نص رحلي مُضمّن في داخل النص العام<sup>75</sup>.

وبعد هذا الاستعراض والمناقشة، نقول بأن الرحلة الجزائرية الحديثة متوقّرة ولها من النصوص ما يشمل مكتبة ثرية، وإن كان ثمة من مشكل فيمكن في طرق البحث وسبل تحقيقه والظفر بهذه النصوص، التي لا يخلو طريقها من مصاعب وأشواك، ولعل الرحلة الجزائرية ذات خصائص تميّزها، لا يجد منافذها إلا من تبحر في مجالاتها المتشعبة وأرجائها الشاسعة، كما أن البحث في هذا الفن يعدّ محتشماً جداً، ولا يمثل حقيقة حجم الباحثين والمؤسسات الجامعية التي أصبحت في كل ولاية من ولايات القطر أو أكثر، وبنسبة عدد مهول من المتخرجين في دائرة الأدب.

### قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع

#### 1 . الكتب

1. بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مراجعة أد عثمان بدري، دار ثالثة، الجزائر، 2007.
2. الحاج مصطفى العشعاشي، كتاب السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، تحقيق وتحرير مصطفى بن يلس شاوش بن الحاج محمد، مطبعة سقال، تلمسان، الجزائر (د. ت).
3. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري -دراسة في النشأة والتطور والبنية-، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
4. الشريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979.
5. الطيب المهاجي، أنفوس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، مطبعة الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران، الجزائر، 1973.
6. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
7. عبد الباقي الحسيني الجزائري، معبر الفتوة، الشركة الوطنية للطباعة والأوراق، وهران، الجزائر، 1973.
8. عبد الله حمادي، رحلة محمد الزاهي الملي من باريس إلى .. قسنطينة 1983، مطبعة البعث، قسنطينة، 2004.
9. عبد الله الركبي، تطور النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
10. عبد الملك مرتاض، فنون النشر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

11. عبد الملك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
12. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995.
13. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995.
14. عمر بن قينة - الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1995.
15. عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية في النثر الجزائري الحديث، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999.
16. عمر بن قينة، رحلات ورحالون في النثر الجزائري الحديث، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2009.
17. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، ط3، 2009، ج8.
18. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
19. محمد مسعي، رسالة ماجستير بعنوان دور أعلام منطقة أم البواقي في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية "محمد مساس الإبراهيمي وأبو القاسم الزغداني - نموذجاً 1900-1962-م، إشراف د شايب قدارة، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009 يوسف وجليسي، في ظلال النصوص، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009،

## 2. الجرائد

1. جريدة النجاح، السنة التاسعة والعشرين، العدد: 3743 - الأربعاء 28 ذي القعدة 1368 الموافق 1949 /09 /21
2. جريدة البلاغ الجزائري، بداية من السنة الرابعة، العدد: 162 - الجمعة 26 ذي القعدة 1348 الموافق 1930 /04 /25.

3. جريدة النجاح، السنة 30، العدد 3866، يوم 24 ربيع الأول 1370هـ، الموافق لـ 3 جانفي 1951 م.

- 1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، ط3، 2009، ج8، ص 459.
- 2- المصدر نفسه، ص 459.
- 3- المصدر نفسه، ص 459-460.
- 4- المصدر نفسه، ج9، ص 579.
- 5- المصدر نفسه، ص 579.
- 6- تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج9، ص 579.
- 7- المصدر نفسه، ص 579.
- 8- المصدر نفسه، ص 579.
- 9- نشر الكتاب بالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1983.
- 10- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 203.
- 11- المصدر نفسه، ص 235.
- 12- المصدر نفسه، ص 257.
- 13- نشر الكتاب بدار المعارف، تونس، 1993.
- 14- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 15- عبد الملك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 16- فنون النثر الأدبي في الجزائر، مرجع سابق، ص 293.
- 17- المصدر نفسه، ص 293.
- 18- المصدر نفسه، ص 293.
- 19- المصدر نفسه، ص 293.
- 20- فنون النثر الأدبي في الجزائر، مرجع سابق، ص 293.
- 21- طبع الكتاب بالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 22- عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 50.
- 23- تطور النثر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 66.
- 24- لقد نشر هذا البحث في إطار أعمال الملتقى الوطني حول الأدباء الشهداء، "أربعون يوما من باريس إلى قسنطينة" ثم نشره كتابا مستقلا يحمل هذه الدراسة، إضافة إلى نص الرحلة كاملة، بعنوان رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى .. قسنطينة 1983. عن مطبعة البعث، قسنطينة، 2004.
- 25- عبد الله حمادي، رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى .. قسنطينة 1983، مطبعة البعث، قسنطينة، 2004، ص 47.
- 26- رحلة محمد الزاهي من باريس إلى قسنطينة، مرجع سابق، ص 47.

- 27- المصدر نفسه، ص 47.
- 28- يوسف وغيلسي، في ظلال النصوص، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 296.
- 29- المصدر نفسه، ص 296.
- 30- في ظلال النصوص، مرجع سابق، ص 296.
- 31- وفي هذا المقام نشير بأن الدراسات حول أدب الرحلة لم تأخذ حقها من الاهتمام من طرف الدارسين، حتى إذا جاء المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي (1951) بكتابه الضخم "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"، حيث عالج كل الأعمال العربية التي تناولت الجغرافية الوصفية والرحلات موضوعا لها، هنالك توه الباحثون العرب بهذا العمل وتبني بعضهم هذا الاتجاه بالبحث، فماذا لو لم يظهر كراتشكوفسكي؟ ربما لا يزال أدب الرحلة بابه موصدا. 296.
- 32- كتاب مطبوع بدار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- 33- سميرة أنساع، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري -دراسة في النشأة والتطور والبنية-، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 76.
- 34- الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري مرجع سابق، ص 76.
- 35- عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية، ديون المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995، ص 5- 6.
- 36- سفر مع الرحلات الجزائرية، ندوة الرحالة العرب 2010.
- 37- منشور عن دار الأمة، الجزائر، ط 1 عام 1986، ط 2 2009.
- 38- منشور عن ديون المطبوعات الجزائرية، ط 1 عام 1995. وفيه باب عن الرحالين الجزائريين في النثر الجزائري الحديث (من ص 95 إلى ص 160).
- 39- منشور عن اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000.
- 40- منشور عن اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999.
- 41- منشور عن ديون المطبوعات الجزائرية، ط 1 عام 1995.
- 42- منشور عن منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2004.
- 43- انظر: عمر بن قينة - اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية، ديون المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995، ص 363.
- الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، دار الأمة، الجزائر، ط 1، 1995، ص 193.
- 44- عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية، ديون المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995، ص 6.
- 45- عمر بن قينة، صورة من الرحلة إلى الحجّ، ضمن كتاب الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية في النثر الجزائري الحديث، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1999، ص 22.
- 46- المصدر نفسه.
- 47- كتاب السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، الحاج مصطفى العشعاشي، تحقيق وتحرير مصطفى بن يلس شاوش بن الحاج محمد، مطبعة سقال، تلمسان، الجزائر (د.ت)، ص من 77 إلى 90..
- 48- من كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، للطبيب المهاجي، مطبعة الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران، الجزائر، 1973، من ص 67 إلى ص 79.
- 49- جريدة النجاح، السنة التاسعة والعشرين، العدد: 3743- الأربعاء 28 ذي القعدة 1368 الموافق 21/09/1949
- 50- عبر حلقات بجريدة البلاغ الجزائري، بداية من السنة الرابعة، العدد: 162 - الجمعة 26 ذي القعدة 1348 الموافق 1930 /04 /25

- 51- منقول عن مخطوط برسالة ماجستير بعنوان دور أعلام منطقة أم البواقي في الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية "محمد مساس الإبراهيمي وأبو القاسم الزغداني - نموذجا 1900-1962- م، إعداد محمد مسعي إشراف د شايب قدارة، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009
- 52- عبر حلقات بجريدة النجاح، السنة 30، العدد 3866، يوم 24 ربيع الأول 1370هـ، الموافق لـ 3 جانفي 1951 م.
- 53- موجود بالمكتبة الالكترونية [www.eboxeditions.com](http://www.eboxeditions.com)، والنسخة الورقية بالطبعة الحجرية موجودة بحوزة الأستاذة آل الشيخ من جامعة غرداية، وهي لا ترغب أن يطلع عليها أي أحد إلا بعد نشرها.
- 54- معبر الفتوة، عبد الباقي الحسيني الجزائري، الشركة الوطنية للطباعة والأوراق، وهران، الجزائر، 1973.
- 55- رحلات ورحالون في النثر الجزائري الحديث، عمر بن قينة، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2009، ص 63.
- 56- عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 66.
- 57- كتاب فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري، مراجعة أد عثمان بدري، دار ثالثة، الجزائر، 2007.
- 58- ولسنا هنا نتحدث إلا فيما يدور حول موضوعنا (الرحلة).
- 59- فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري، مراجعة أد عثمان بدري، دار ثالثة، الجزائر، 2007، ص 319.
- 60- المصدر نفسه، ص 320.
- 61- المصدر نفسه، ص 321.
- 62- المصدر نفسه، ص 325.
- 63- المصدر نفسه، ص 320.
- 64- قد تحريت في هذه القضية وتوجهت عند أهل برحو الوهاصي بمدينة بني صاف، وتأكدت بأن هذه الشخصية لم تنظم نسا رحليا، وإنما بعض قصائد حفظت في أوراق مخطوطة بقيت عند ابنه الأكبر في صندوق بمدينة وهران، كما أني قابلت الأستاذ مختار بوعناني وأكد لي أنه التقى مع هذا الابن الأكبر للوهاصي بوهران ولم يجد له منظومة رحلية وإنما بعض الأشعار، كما انه نفى ما نقل عنه صاحب فهرست معلمة التراث، ولا توجد بحوزته أي نسخة من هذه المنظومة التي زعم فيها أنه له نسختين وإنما قال لي بأن له قصيدتين ذات أغراض أخرى في حوالي 20 بيت للقصيد.
- 65- فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مرجع سابق، ص 321.
- 66- أنظر تجارب في الأدب والرحلة، مرجع سابق، ص 247.
- 67- أنظر تجارب في الأدب والرحلة، مرجع سابق، ص 247.
- 68- فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مرجع سابق، ص 322.
- 69- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص 102.
- 70- معبر الفتوة، عبد الباقي الحسيني الجزائري، الشركة الوطنية للطباعة والأوراق، وهران، الجزائر، 1973، ص 96.
- 71- المصدر نفسه، ص 10.
- 72- المصدر نفسه، ص 17.
- 73- المصدر نفسه، ص 77.
- 74- فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير مرجع سابق، ص 322.
- 75- انظر كتاب مذكرات الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979.